ولما أخرجت جنازة الصريمية المغنية كان أشعب جالساً مع نفر من قريش فبكى عليها وقال : اليوم ذهب الغناء كله . وترحم عليها ثم مسح عينيه والتفت إليهم وقال : وعلى ذلك فقد ذلك الزانية شر خلق ا ! .

فضحكوا وقالوا : يا أشعب ليس بين بكائك عليها وبين لعنك لها فرق ؟ قال : نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نزورها فتطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا إلا بسلق . وجاز به يوماً سبط لابن سريج فوثب إليه وحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول : فديت من ولد على عودٍ واستهل بغناء وحنك بملوى وقطعت سرته بزير وختن بمضراب . وتبع امرأةً يوماً فقالت له : ما تصنع بي ولي زوج ؟ قال : تسري بي فديتك ! .

وقيل له : أرأيت أطمع منك ؟ قال : نعم كلب أم حومل تبعني فرسخين وأنا أمضغ كندراً ولقد حسدته على ذلك . وخفف الصلاة مرةً فقال له بعض أهل المسجد : خففت الصلاة جداً . فقال : إنها صلاة لم يخالطها رياء . وقال له رجل كان صديق أبيه : كان أبوك عظيم اللحية فمن أشبهت أنت ؟ قال : أشبهت أمي . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال نعم خرجت إلى الشام مع رفيق لي فنزلنا بعض الديارات فتلاحينا فقلت : أير هذا الراهب في حر أم الكاذب ! .

فلم نشعر إلا بالراهب قد اطلع علينا وقد أنعظ وقال : أيكما الكاذب ؟ .

وقال له رجل يوماً : ضاع معروفي عندك . قال : لأنه جاء من غير محتسب ثم وقع عند غير شاكر . وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد ا بن عمر فاشتهى سالم يوماً أن يأكل مع نباته فخرج إلى بستان فخبر أشعب بالقصة فاكترى جملاً بدرهم فلما حاذى حائط البستان وثب عليه فصار عليه فغطى سالم بناته بثوبه وقال : بناتي ! .

فقال أشعب : إنك لتعلم " ما لنَا في بناتِك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد " . ويقال : إن أم أشعب بغت فضربت وحلقت وحملت على عير يطاف بها وهي تقول : من رآني فلا يزنين ! .

فأشرفت عليها ظريفة من أهل المدينة فقالت لها : إنك إذاً لمطاعة نهانا ا عنه فما قبلنا ندعه لقولك . وقال يوماً رجل لأشعب : ما بلغ من طعمك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا إلا وقد خبأت لي شيئاً تعطيني إياه .

وقيل : هو من موالي عثمان . وقيل : ولاؤه لسعيد بن العاص الأموي . وقيل : هو مولى فاطمة بنت الحسين . وقيل : مولى ابن الزبير . وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة . وولد سنة تسع من الهجرة فعمر دهراً طويلاً . وامرأته بنت وردان الذي بني قبر رسول ا A حين هدم الوليد

بن عبد الملك المسجد على يد عمر بن عبد العزيز . وكان أشعب قد تعبد وقرأ القرآن وتنسك وكان حسن الصوت بالقراءة . وكان ربما صلى بهم في المسجد . وهو خال الواقدي . وقد أسند عن أبان وغيره وقد روى عنه غياث بن إبراهيم القرشي ومعدي بن سليمان وأبو لبابة وعثمان بن فائد .

وقال سليمان الشاذكوني : كان لي ابن في المكتب وأشعب جالس عند المعلم فقرأ " إنّ أبي يدعوك " فقام أشعب ولبس نعليه وقال : امش بين يدي ! .

فقال : إنما أقرأ حزبي . فقال : قد علمت أنك لا تفلح لا أنت ولا أبوك .

قال المدائني : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة وقلت : اللهم أذهب الحرص عني ! .

فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً فجئت إلى أمي فقلت ذاك لها فقالت : واﷲ لا تدخل بيتي أو ترجع فتستقبل اﷲ تعالى . فرجعت فقلت : يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي فأقلني ! .

ثم رجعت فلم أمر بمجلس فيه قريش ولا غيرهم إلا سألتهم وأعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار موقر فقالت : ما هذا ؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت فقلت : وهبوا لي غين . قالت : ويلك وما غين ؟ قلت : لام . قالت : وما لام ؟ قلت : ألف . قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم . قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام وسقطت مغشياً عليها . ولو سميته أول سؤالها لماتت . ورأى على عبد اﷲ بن عمر كساء فقال : سألتك بوجه اﷲ إلا أعطيتني هذا الكساء . فرمى به إليه . وكان يقول : حدثني عبد اﷲ بن عمر وكان يبغضني . وكان أشعب مجيداً في الغناء وذكره إبراهيم الرقيق في كتاب الأغاني له وذكر جملةً من أخباره وغنائه .

الأشعث .

ابن قيس